

اكتشافات حديثة لمخطوطات تتعلق بالتوراة

في الشرق الأدنى

بقلم س. ل.

لم تكن ارض الشرق الأدنى في عهد من العهود غنية بالآثار الحطية المكتشفة أكثر مما كانت في غضون السنوات العشرين الأخيرة فكان القدر لم يشأ أبداً ان يعزز كل التعزيز مقصري المدين الجديد والتقديم كما يعززهم اليوم. ويشوقني ان اوضح لكم انني لست من الذين يحملهم مزاجهم على الرغبة في المغالاة وان في سبيل الدفاع عن العقائد الايمانية فلذلك لم اعول على استخدام المبارات الطائفة ولا على سحر البيان لادع الوقائع تكلم وحدها محاولاً عرض اكتشافات السنين العشرين المنصرمة ومظهراً ما لتأنيها المستنبطة من اهمية في دراسات التوراة .

فلا ينهشكم اذا ما ارنحت الى ان اقف عند بعض المكتشفات الاخيرة بالنسبة الى تاريخها الا وهي الآثار العبرية المخطوطة التي وجدت في صحراء يهوذا. ولئن اطلقوا عليها «من باب المغالاة» اسم اعظم المخطوطات المكتشفة في الازمنة المتأخرة فهي في الواقع تأتي بعد غيرها هذا الغير الذي لا تستطيع ان تجعله نسياً منسياً وان كانت تهتنا بصورة خاصة لكونها تناول مباشرة العهد الجديد واقوال المسيح نفسها .

ولست اشير الا على سبيل الذكرى الى بردي شتريبوتي Papyrus Chester Beatty التي اطلق عليها اسم مقتنيا ومصدرها احد الاديار الذي لم يعرف بالضبط موقعه في القيقوم وقد استحوذ عليها صاحبها سنة ١٩٣٠^١ .

(1) Édités par Frédéric G. Kenyon, *The Chester Beatty Biblical Papyri. Descriptions and texts of twelve manuscripts of the Greek Bible*. London 1933. A ces fragments il faut ajouter les trente feuilles acquises par l'Université de Michigan et publiées par Henry H. Sander sous le titre *A Third Century Papyrus Codex of the Epistles of Paul*, Michigan 1935.

وانه لا اكتشاف عظيم لو فكّرنا في انه يشتمل على شذرات واسعة كل الاتساع تضم اثني عشر كتاباً تحتوي على نص قسم من العهد القديم في ترجمته اليونانية « السبعينية » وعلى اقسام كبيرة جداً من العهد الجديد وبخاصة على كل اقوال القديس يولس تقريباً .

وربما اكبر رجال الاختصاص باثار الورق البردي تزيخ هذه المجموعات الى القرن الثالث اي انهم يعتبرونها اسبق بقرن من اقدم مخطوط على الرق ال Vaticanus الذي هو من القرن الرابع .

وربما لا تعلقون كبير اهمية على هذه التواريخ ولكنكم متى عرفتم ان اقدم مخطوط لدى الادباء الكلاسيكيين اليونانيين لا يتعدى القرن التاسع وان الناشئين يرجعون عادة الى مخطوطات النهضة تدركون بسهولة مبلغ الافضلية التي اصبحت في تناول دراسة العهد الجديد وقيمة اكتشاف نخولنا ان تختصر قروناً من المدة بين تاريخ النص الاصلي وتاريخ النسخة الابلد قديمة .

وفي اليوم الخامس من اذار ١٩٣٣ اكتشف في دورا - اورويوس Doura-Europos القائمة على الفرات قطعة من الرق بطول ٥٤٩ سنتيمتراً على ٥٤١٠ س . مدفونة في تراب اتقاض جدران المدينة عليها ١٤ سطراً مقروءة تروي دفن المسيح^(١) رواية لا تناقض في شيء نصوص الانجيلنا ولكنها ضرب من النسيب . من الانجيل الثلاثة . ولم يكن في الواقع من صعوبة لمقابلة النص اليوناني مع انسجام الانجيل الاربعة او الدياتسرون Diatessaron الذي ألفه تاسيان Tatien خوالي سنة ١٨٠ وكان تأثيره عظيماً في الشرق والغرب ولم يكن معروفاً حتى الان الا من وراء الترجمات المبدلة تعديلاً كثيراً او قليلاً وهي الترجمات العربية واللاتينية والفارسية اما النص السرياني الذي ربما كان النص الاصلي فلم يكن معروفاً الا من تفسير القديس افرام الذي بقي وحده محفوظاً في ترجمة ارامية . اما الآن فما نحن ذو امام نص يوناني ابلد تاريخياً باربعين أو خمسين سنة عن النص الاصلي لان سايور قد دمر المدينة سنة ٢٥٠ مما يستحيل معه أن لا

(1) Un fragment de parchemin a été édité par Carl. H. Kraeling: *A Greek Fragment of Tatian's Diatessaron*, London 1935. — Voir l'étude du P. Lagrange dans la *Revue Biblique* de juillet 1935, p. 321-27.

يكون تاريخ القطعة المكتشفة الأقدم ذلك الميعاد بتاتين وعشرين أو بتاتين وثلاثين سنة^(١).

ولاحول الوجه نحو مصر ، نحو اوكرينزك Oxyrhinque أو الفيوم . ففي سنة ١٩٢٠ اشترى غرينفيل Grenfell من تلك المدينة قطعة صغيرة (٨٠س) على (٨٠س) انتقلت الى مكتبة جون ريلان John Ryland حيث استقرت في نومها ببعض الصناديق حتى نبشت ونشرت^(٢) سنة ١٩٢٥ . فاذا بها بعض كلمات مكتوبة على وجه الصفحات وظهرها - وهي كتاب - رد الاختصاصيون بعلم الخطوط تاريخ خطه الى السنوات الاولى من القرن الثاني . ووجود مثل هذا الكتاب المجموعة الذي يسبق تاريخه مئة سنة بردي شتريوتي Papyrus Chester Beatty لا يخلو من فائدة . فاذا تضمن هذه الشذرات ؟ انها تحتوي على اربع ايات من فصل القديس يوحنا الثامن (٧٧-٣١٧) . ٣٣ و ٣٢ - ٣٨) .

وراجت في مصر نسخة من القرن الرابع كانت تشمل من دون ريب على الانجيل الاربعة وذلك بعد بضع سنوات فقط من التاريخ الذي يغزوه التقليد الى النص الاصلي ...

ولقد أكد النقادة لوازي Loisy من وقت غير بعيد ان أول تدوين للانجيل يرتقي تاريخه الى ١٣٠ أو الى ١٤٠ سنة بعد المسيح ولكنني لست ادري باي جرّ عاثر كيف عرضت هذه الاسطر القليلة احدي الآيات التي يرى النقد اللاكاثوليكي ان صدقها مشكوك فيه كل الشك : وما هي الا جواب اليهود على بيلاطس : « لا يجوز لنا ان نقضي بالموت على أحد » (ف ٣١٤) .

« وفي صيف ١٩٣٤ » أي في السنة التالية انتقلت الى المتحف البريطاني ثلاث صفحات من كتاب يرتقي عهد خطها الى منتصف القرن الحادي عشر وهي لا تتصدى الى ذكر شيء مما ورد في أحد أناجيلنا القانونية ولكنها تتحدث بأسهاب عن « انجيل غير معروف » أو عن انجيل خامس وتردّد شذرات من

(1) C. H. Roberts, *An Unpublished Fragment of the Fourth Gospel in the John Rylands Library*, Manchester 1935. Voir la brève étude qu'en a donnée le P. Benoit dans *La Revue biblique*, d'avril 1936, p. 269-73.

(2) Ainsi dans *La naissance du Christianisme*, Paris 1933, p. 59.

مباحثات عدة بين يسوع وخصومه شبيهة بالمباحثات التي نراها في أناجيلنا - واليكم بعض أمثال منها : « ولما جاءوا اليه متعطشين بتجريبه وقالوا له : ايها المعلم يسوع ، نحن نعلم بانك جئت من لدن الله لان ١٠ تصنعه يشهد لك اكثر من جميع الانبياء فقل لنا ايجوز أن ندفع للهلك ما فرضوه علينا ؟ أندفع لهم أم لا ؟ وكان يسوع يعرف أفكارهم فأجابهم وهو يرتجف : لماذا تدعوني معلماً بفسكم ولا تعملون بما أقول لكم ؟ فاشميا قد تنبأ عليكم عندما قال : ان هذا الشعب يجعدي بشفتيه ولكن قلبه بعيد عني ، فعبثاً تمجيدته لي ... ونحن نعرف قصة الجزية المدفوعة لقيصر كما جاءت في الاناجيل الثلاثة فقد أدخلها المزلف نحننا بشدة استعدها من القديس يوحنا (ف ٢٤٣) مع علامتها الخاصة الشهادة واكملها بان أضاف اليها فقرة من اشيا موجودة ايضاً في أناجيلنا ولكن في محلها .

وفي هذه الرواية التي ليست الا ثانوية استخدم الواضع نصوص أناجيلنا الاربعية^(١) وفضل خاصة في استخدامه انجيل القديس يوحنا لان القصة التالية مكررة برمتها من ثلاث آيات ايضاً ليوحنا وانما قد صاغها بصورة ثانية : « لما التفت الى رؤساء الشعب قال لهم هذه المباركة : انجثوا الكتب التي تحسبون ان لكم فيها الحياة ، فهي التي تشهد لي (ف ٣٩٤٥) لا تظنوا اني جئت اشكوكم الى أبي فان الذي يشكوكم هو موسى الذي انتم به (ف ٥٤٥) .
ولما قالوا له : انتا تعلم ان الله قد كلم موسى أما أنت فلا تعلم من أين آجابهم يسوع : الآن اتضح علم ايمانكم » .

ولقد جاء هذا الانجيل الجديد مصداقاً لما استنتجناه من الاكتشاف الاسبق لان الانجيل الرابع كان معروفاً في مصر منذ مطلع القرن الحادي عشر وكانوا يعتبرونه اعتبارهم للاناجيل الثلاثة الأخر على حد سواء ، فالنظريات التي جهده بعض النقاد مجهوراتهم لاصطناعها قد انهارت انهيار القصور المشيدة من الورق .

(1) American School of Oriental Researches h. 112 (déc. 1948) = "The Hebrew University Scrolls from the Secretarian Cache" par H. L. Ginsley, et dans le Biblical Archaeologist de mai 1949 (pp. 36-46) = The newly discovered Scrolls in the "Hebrew University Museum" of Jerusalem par F. M. Cross.

ب

واني لا أدع المجال يطول بي لانتقل الى التحدث عن اكتشاف أشد انشاعاً
كان له صدى بعيد بين الجمهور وفي الصف الراقية الا وهو اكتشاف مخطوطات
عبرية في صحراء يهوذا وعلى ضفاف البحر الميت . فوهذه المخطوطات ما برح
النموس يحيط بها وقد ذكرت روايات عدة منها وهي لا تتفق في جميع تفاصيلها .
أما المخطوطة المتأخر تاريخها فهي مخطوطة الشاهد الممتاز رئيس دير القديس
مرقس السرياني في القدس مار اثنا سيوس^(١) . واليكهم كيف كان مجرى
الحادث :

في شهر نيسان سنة ١٩٤٧ سمع المتروبوليت لاول مرة بالحديث عن
اكتشاف مخطوطات جديدة على مقربة من البحر الميت . فان جماعة من البدو
كانوا ينقلون بضائعهم من وادي الاردن الى بيت لحم فرأوا في طريقهم مغارة
معمورة في نواحي الصخور كان ضمنها عدد كبير من الآنية الخزفية (قوارير) فيها
ملفات من الجلد يعلفها قماش مدحون بدهان واق لها . وعرض اولئك البدو
كثيرهم على أحد تجار الآثار المحليين وطلبوا ثمن الملف الأكبر عشرت ليرة
فلسطينية أو زهاء (٢٠ ٠٠٠ فرنك) فوجد التاجر الشئ غالياً . وعملا بنصيحة
تاجر آثار سرياني آخر عرضت تلك الجماعة من البدو كتبتها على رهبان القديس
مرقس السريان في القدس عن طريق أحد الوسطاء . وبعد مساومات وأخذ ورد
وحتى بعد رفض اتمام الصفقة للمرة الاولى توصلوا الى الاتفاق على بيع خمسة
ملفات من أحد عشر ملفاً - وتمكن استاذ الجامعة العبرية في القدس سوكنيك
Suknik الذي وصل حديثاً من أميركا من شراء الملفات الستة الباقية . ولكننا
لا نعرف بالضبط بمن اشتراها - كما تمكن من الحصول على قارورتين سليستين
لم تما وكان ذلك في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ أي قبل تقسيم فلسطين . واعتقد
الاستاذ المشار اليه انه على رغم الصعوبات القائمة بسبب خط الحدود الذي كان
يفصل بين المنطقتين اليهودية والعربية فصلاً دقيقاً انه سيفوز بالملفات الاخرى
ومع ذلك قد تمكن من الحصول على نصوص اثنين منها وأخذ عنها صوراً .

(١) Paru dans *The Biblical Archaeologist*, mai 1949, 26-31.

— ولا كانت الظروف القانمة تستوجب كتمان الامر — استطاع الرهبان السريان أيضاً بحدارات جديدة ان يدركوا ما لكثرتهم من اهمية. يقدر سأل قيم مكتبة الدير يرمأ عن بعض المخطوطات القديمة التي وجدها في مكتبته ولم يكن اسما متيذا في سجلها فاكب ج. ث. ترافر J.-C. Traver مدير مدرسة الابحاث الشرقية الاميركية على تفحص الملفات وايد صحتها وتمكن من مقارنة نسخة كاملة من سفر اشيا وتفسير يهودي لفصلي النبي حبقوق الاولين وكتاب احدى الفرق اليهودية (في ملفين) اما الملف الاخير فلم يكن بالاستطاعة فتحه وانما عرف انه مختص بترجمة كتاب Hénoch الارامية .

وبعد ان مكثت كل هذه المكتشفات في بلاد مجاورة بأمن من الاعمال العدوانية حملها المتروبوليت بشخصه الى اميركا لدرسها ونشرها فيها وقد صدر الجزء الاول منها^(١) .

وقد نشر الاستاذ سوكنيك Sukenik تقريراً تهديداً عن القمم الموجودة في حوزة الجامعة العبرية سنة ١٩٤٨ وصف فيه الملفات الستة الاخرى^(٢) التي يشتمل احدها على كتاب سماه « حرب ابنا. النور ضد ابنا. الظلام » وثلاثة اقسام من الملف نفسه تشتمل على زبور افعال النعمة اما الاثنان الاخران فلم يكونا قد فتحا ابان النشر : فمنذ ذلك الوقت استطاع ان يحقق مخطوطاً ثانياً للنبي اشيا .

فهل هذا الاكتشاف « هائل » و « عظيم » كما جاح بعضهم ؟

أم انه « خدعة » « عظيمة » من وضع احد كتبة القرون الوسطى ؟

ان بين هذين الرأيين محلاً لحلولا ليست بأقل جرأة الا وهو رأي الاستاذ

ج. ر. دريفر G.R. Driver العلامة باللغات السامية الذي يرى ان هذه

المخطوطات لا ترتقي الى ابعد من القرنين السابع او الثامن^(٣) .

(1) The Dead Sea Scrolls of St. Mark's Monastery, vol. I. The Isaiah Manuscript and the Habakuk. Commentary, edited by Millar Burrows with the assistance of John. C. Trever and William H. Brownlee (published by the American School of Oriental Researches, New Haven 1955).

(2) On peut voir un résumé en anglais dans le « Bulletin of Am. Sch. ».

(3) Jewish Quarterly Review, avril 1950, p. 359-72.

والواقع ان اهمية هذا الاكتشاف يتوقف قسم كبير منها على قدمية تاريخ المخطوطات بيد انه من الصعب تحقيقها بالضبط على ما يبدو للوهلة الاولى اما ميزات قراءة الخطوط وتفكيكها التي لها غالباً قيتها لقول الكلمة الفصل فيها فغير مرفورة في مثل هذا المقام على نقيض الوثائق اليونانية التي نجثنا فيها آنفاً فان وفرة البردي الحديث فيها والماع اقوالها الى ذكر تاريخها بالضبط هي ادلة صحيحة كل الصحة ، كما ان النقاط التي تصلح للمقارنة في هذا الاكتشاف مفقودة برمتها اما ما لدينا من الكتابات القديمة ككتابات ضريح بريلوس « جبيل » مثلاً ومسلّة مكس ميسا Mex Meša الشهيرة او الكتابات على مدائن العظام اليهودية وبعض الكتابات على العظام كالتى وجدت في السامرة Samariea وتلّ الدوير Tell-ed-Duweir « لاكيش القديمة L'ancienne Lakhish فحفورة بالحجر او مرسومة بالمرقم على الحرف وليست بمخطوطات بالمعنى الصحيح .

وخرّتنا اوراق بردي ناش Papyrus Nash التي وجدت في مصر القيام بدرس مقارن مفيد مع الاحتراس بعدم اهماله . فهل هذه المقارنة حاسمة ؟ ان وجوه الشبه لا سبيل لوصفها ولكن مما لوحظ في هذه الوثيقة الضيقة الاتساع كل الضيق (٢٤ سطراً) ان رسم حروفها هو شديد الاهمال وخال من التنظيم وذلك من دون ان نقول ان كل العلماء لم يتفقوا على جعل تاريخها في السنة المئة بعد المسيح اذ كثير من بينهم يردّ تاريخها الى القرن الاول او الثاني قبل المسيح . اما تحليلها اللغوي والاستناد الى عليّ الصرف والنحو فاشد صموبة علينا لقصر معرفتنا بالعبرية تلك العبرية التي كانت قبل ان يجمع علماء اليهود التوراة في كتاب واحد ونظموها من القرن « السادس الى الثامن بعد المسيح » .

ولاشك في ان ج. ر. دريفر G.R. Drivers قد افترض لها تاريخاً نسبياً حديثاً بالاستناد الى هذه القرائن ! ولذلك لا يكون القول الفصل في الاسرالا لعلم الآثر الذى ظلّ محتفظاً بالصمت نظراً لفقدان الأدلة والوثائق ، فالآنية الحرفية (القوارير) التي زعم الاستاذ سركنيك Sakenik انه استحصل عليها لم يرها اثر ولم يتمكن لا هو ولا الاميركيون من زيارة المقبرة لان البدو

احتفظوا بكتان . وضعها فكان من الواجب « اكتشافها من جديد » .

وفي شهر كانون الاول سنة ١٩٤٨ وصل الى فلسطين الضابط البلجيكي الشاب فيليب لينس Philippe Lippens المراقب لدى منظمة الامم المتحدة فوقع في اذنه حديث غامض عن اكتشاف مخطوطات قيمة فرغب وهو في فلسطين ان يعرفها فاتصل بالاب ده فو R.P. de Vaux مدير مدرسة الكتاب المقدس وعلم الآثار الفرنسية في القدس في (المنطقة العربية) وبالسيد ل. هاردنغ M.L. Harding مدير مصلحة الآثار بعمان في شرقي الاردن . وفي الواقع ليس الفرع العربي مدرسة علماء آثار بيد ان افضليتها قائمة على كونها تعرف المنطقة كل المعرفة . نشرع الضابطان وهما الكولونيل البريطاني استون Ashton والرئيس « الكايتان » العربي عكاش Akkash بك بالعمل ، قليل زبها شرعا يلعبان الورقة الانكليزية ولكنها قد لعبا الورقة الفرنسية الانكليزية - وقد تكلل عملها بالنجاح .

ولفت الضابط العربي يوماً نظر صاحبه الكولونيل الانكليزي الى بقايا آنية خزفية محطمة محبوبة وراء الانقاض فاتبعها اثرها فاذا بالمفارة تنكشف امامها وكان الاتفاق بينهما وبين الضابط البلجيكي لينس Lippens على انه اذا تكللت جهودهما بالنجاح ان يعمدا الى الاب ده فو de Vaux بالاشراف على قسم الآثار « الاركيولوجي » .

وباشر الاب والسيد هاردنغ Mr. Harding العمل المنظم طوال ثلاثة اسابيع من ١٥ شباط الى ١٥ اذار لاكتشاف المفارة وفي اليوم الثامن من اذار التالي عهد الى الكاهن ريكمان Ryckmans احد اساتذة جامعة لوفان بان يتوم باعطاء اول مطبوعات عنها في باريس وذلك تقديرًا للدور الذي قام به الضابط « ليوتان » لينس Lippens .

تقع المفارة على بعد ١٢ كيلومتراً الى جنوب اريحا او على بعد ٢ كيلومترات الى شمال عين فسخه Feshkha على زهاء كيلومتريّن من شاطئ البحر الميت اما من اسفل نواته الصخرية فلا يرى شيئاً اما اذا صعدنا نحو ٢٠ متراً فترى تعين في الصخر احدهما على وجه التراب وقد وسّعه الخثيون السريون والثاني

ضرب من الترافد الضيقة يرتفع مترين عن وجه الارض وكلاهما تحجبها عن الانظار كتلة من الصخور .

وما كانت هذه المغارة تستخدم يوماً للسكن وانما هي مخبأ من الطراز المعلم لمن ينبغي ان يخفي فيها كثيراً ليجبهه عن اعين الفضوليين .

ولقد حاول هذان المنقبان البحث عن حلقات اخرى فذهبت اتعابها ادراج الرياح لانها وجدا ترايبها قد قلب بطناً للظفر ، وانما قد كان من حسن حظهما ان الذين نقبوا قبلهما في ذلك الموضع لم يكبروا من علماء الآثار فلم يعابوا بامور كثيرة لها قيمتها كالفماش الذي خزمت به الملفات وغلفت به الآنية الخزفية « القوارير » . فتمكن اخبهاء الذين باشرنا تفحصها ان يزرخوا لها على التقريب فجعلوها - بين القرنين الثاني قبل المسيح والثالث بعده مما يكفي لدحض رجاءات نظير المتطرفين ، ولقد وجدوا ايضاً كومة كبيرة من القطع المخطوطة تربو على ٦٠٠ شذرة تكندس بعضها فوق بعض ولا تعدو ثخانة احداها ثخانة قلامة الظفر وبينها قصب يخزل كبرها تحقيق ما تحويه تحقيقاً لا يدرك مجالاً للريب في مضمونها كالمقطع المكتوب عليها سفر اللاويين الذي سنعود للتحدث عنه .

ومما وجدوه ايضاً بقايا خزفية محطمة عديدة افضى فتحها الدقيق الى التأكيد انها كانت ضمن خمسين « قارورة » لكل منها غطاؤها وهي آنية خزفية لكل منها شكلها الخاص ومن دون عروة وعنقها ضيق لا ريب في انها صنعت في وقت واحد لاستيعاب الملفات .

ويصرح اكابر علماء الآثار من دون ابن وغموض بان هذه الآنية الخزفية يرتقي عهدها الى العصر اليوناني قبل العهد الروماني اي ان تاريخها يعود الى حوالي القرن الثاني قبل المسيح ، فاذا كانت تلك الآنية الخزفية قد صنعت حقاً لمثل ذلك العهد فلا يكون تزيين اي مخطوط من مخطوطاتنا بعد تاريخها .

وفي الحقيقة ما من احد بين جميع العلماء يجيب جواباً ايجابياً على هذا الامر كلاب ده فر de Vaux فان الكثيرين منهم لا يترددون على جعل تاريخها في القرن الاول قبل المسيح ، وعلى كل يتفق كل الذين فحصوا بانفسهم الآنية الخزفية « القوارير » والمخطوطات على قدميتها .

وبالاستطاعة التأكيد من دون خشية التمرض خطأ ما ان جميع المخطوطات المكتشفة في مفارة عين فسحه Ain Feshkha هي اسبق من التاريخ المسيحي .
ولئن قلت « المكتشفة في عين فسحه » Ain Feshkha فلانه ليس من المتحيل ان تكون هناك مخطوطات من مصدر آخر يختلف كل الاختلاف عن هذا المصدر قد اندست بينها .

رثت مجال كبير للشك بيد ان الافتراض يفسر لنا كيف كان بالاستطاعة ان يظهروا بالوقت نفسه في البدء ان ملف اشيا وهو ملف آخر يبين مضمونه من دون ريب تاريخياً متأخراً كل التأخير - وذلك اذا كانت رواية ت. وشكر T. Wechsler حقيقة - ^(١) .

ج

لربما رغبت في التعرف عن كتب الى هذه المخطوطات ولا سيما الى ما تحمله لكي تسكنوا من تقدير اهمية الاكتشاف تقديراً اوفى ، لذلك لا ارى لي مندوحة في الدرجة الاولى من الاشارة الى الملفات التي تتعلق بالكتاب المقدس : هناك ملفان من اسفار النبي اشيا احدهما تلم وهو في حوزة الرهبان الريان وقد نشرته مدرسة الابحاث الشرقية الاميريكية بنيوهافن ١٩٥٠ New Haven 1950 والثاني لدى الاستاذ سوكنيك Sukenik وقد حصل عليه في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ وهو لا يكاد يكون مقروءاً وانما قد كان بالاستطاعة تحقيق فصوله من ال ٤١ الى ٦٦ بواسطة شذرات مبعثرة و فقرات عديدة من القسم الاول .

ولم تستطع هذه المخطوطات ان تغير وجه المسألة التي شطرت العلماء زمناً طويلاً حول وحدة كتاب اشيا الاديبية ولا ان تهني اقل ذريعة لاصحاب احد الرأيين .

والقول الذي اجمع عليه كل العلماء هو ان نبزات اشيا كانت مجموعة في

(1) On ne connaît ces jarres que par l'allusion qu'y a faite le Professeur Sukenik dans sa lettre au *New-York Times* du 19 mars 1949.

(1) Voir *Biblica* 31 (1951), p. 242-5. Il s'agirait du livre des *Hephtaroth* et plus récemment *Jewish Quarterly Review*, juillet 1950, p. 71-81.

القرن الثاني قبل المسيح في كتاب واحد يعزونه الى مؤلف واحد ، ففائدة الاكتشاف تعود الى غير هذا الامر .

وثلث مسألة اخرى اعظم خطورة قد شغرت العلماء ايضاً حولها الا وهي قيمة النص العبراني في اسفار كتابنا المقدس .

ولا يفوت علمكم ان هذا النص لم يجمع في كتاب واحد الا في القرن الثامن المسيحي وقد جمعه العلماء اليهود اما اقدم المخطوطات المعروفة فترتقي في تاريخها الى القرن التاسع او العاشر اما الترجمة اليونانية التي لدينا فقد ألفت في الاسكندرية في القرنين الثالث والثاني قبل المسيح ووضعها سبمون مترجماً كما يزُخذ من الاسطورة « ومن ذلك اشتقت اسمها السبينية » وهي تفترض نعتاً عبرانياً يختلف احياناً اختلافاً كبيراً عن نصها الحالي .

واذا ما تضاربت الآراء أفليس علينا ان نجعل الافضية للترجمة اليونانية لكونها اقدم من غيرها بألف سنة تقريباً ؟ ما من احد فكر في هذا الامر اما الاكتشاف الجديد فيجيب صراحة في مجموعه بالنفي على هذه المسألة ليجعل قيمته للنص العبراني الذي نسج خيوطه في كتاب واحد علماء اليهود قيمة تد لا يجادل فيها .

ولا يفوتنا ادراك اهمية نتيجة كهذه النتيجة . والى جانب ملفات اشعيا الكاملة وحدها لا بد من الاشارة الى فقرات كبيرة احياناً اما بشأن فقرات النبي دانيال التي ما برحت غير مدروسة والمشكوك بوجودها فلا اقول شيئاً . ولنلجأ الى فقرات اربع من سفر اللاويين اكتشفها وحققها ونشرها الاب de Vaux وهي سفر اللاويين التاسع عشر والثاني والعشرون اي الجزء الذي يطلق عليه النقاد اسم « ناموس التقديس » ويجعلونه من اقدم نصوص الكتاب .

وعلى تقيض جميع مخطوطات المغارة الاخرى المكتوبة بحروف « مربعة » ما برحت مستخدمة اليوم وقد تبناها اليهود حوالي عهد Esdras فان هذه الفقرات مكتوبة بالحرف فينيقية ونقش رسم الاحرف القديمة التي استخدمها العبرانيون قبل الجلاء وهي قريبة من شكل الحروف التي وجدت مكتوبة على المعظام في تل الدور Tell-ed-Duwer لاكيس Lakhish القديمة ومزخخة من القرن السادس .

وهذا الاختلاف البين بين الحطين حمل الاب دوفو de Vaux على ان لا يرتقى الى ما قبل القرن الرابع وانه تاريخ قديم لمخطوطة اسنار موسى الحسة .
ولنشر ايضاً الى فقرة من كتاب des Jubilés وان النص من نصوص التوراة : اجل انها لفقرة صغيرة جسد الصغر - خمسة اسطر من النص فقط لكنها غنية القيمة لانها تجمعنا لأول مرة على اتصال مباشر بنص كتاب اليهود الاصيل وهو ضرب من تفسير سفر التكوين لا نعرف منه حتى الآن الا ترجمات مجزأة بالحبشية او اللاتينية مأخوذة عن الصورة اليونانية !

ومن كبريات فوائد الاكتشاف الجديد انه يعرفنا عن كتب الى احدى الفرق اليهودية التي تشبه شها كبيراً السدوقيين Esséniens ونوعاً المسيحيين : الا وهي الفرقة المدعوة « بالهد الجديد في بلدان دمشق » كما تسمي نفسها في المستند الوحيد الذي لدينا وقد اكتشف اتفاقاً سنة ١٨٩٦ في احد منابر géniza كنيس في مصر القديمة ونشر سنة ١٩١٠ .

ولم تزل تفاصيل عدة حول هذه الفرقة في حيز الفرض إما ما يقدر لها من تاريخ فيتأرجح بين القرن الثاني قبل المسيح والعصور الوسطى، على ان معظم العلماء يحملون تأريخها في القرن الاول بعد المسيح .

ولقد اصبحت اوهام عديدة اليوم جليلة كل الجلاء بفضل حلقة الملفات الكاملة التي اكتشفت بالمقارة وبالنظر الى قدمية تاريخ المخطوطات الجديدة وزال بذلك كل تسمرب مسيحي وصار في مقدورنا ان نلج الى اعماق هذه الفرقة التي غدونا نعرف قانونها هذا القانون الذي وضع له الاميركيون عنواناً « كتاب النظام » .
وقانون هذه الفرقة ملف من الجلد طوله متران عرفنا منه خمسة اعمدة قد نشرت من احد عشر او ثلاثة عشر عموداً وهي الكتاب برتمه ، وحبنا الاعمدة الخمسة هذه لبيان مدى ما لها من فائدة عند مفري العهد الجديد على شرط ان يتنموا ان يحملوا النصوص على قول ما لا تقول^(١) بحجة اقامة المقاربة بينها .

(1) Revue Biblique, 1949, p. 597-602.

(2) On pourra consulter en particulier deux études fort nuancées et objectives, l'une de William H. Brownlee qui occupe tout le numéro de sept. 1950 du *Biblical Archaeologist*, l'autre de M. Burrows, *The Disruptive Manual of the Judaean Covenanters*, communication lue au Congrès international des exégètes

وماكم فقرة مستدة من الجزء الاول تصف كيف يُشرك الطالب في نظامهم « ان كل الذين يدخلون في نظام الجمعية ينتقلون بالهد الى امام الله ليحافظوا على كل ما امر به ولا يتخلوا عنه حيال الارهاب والخوف او بسبب مصيبة من المصائب وذلك اذا ما ساورتهم التجارب تحت سلطان (بليال) Belial .

واذا ما انتقل الطالب الى العهد بارك الكهنة واللاويون اله الخلاص وجميع اعماله الباردة ويقول جميع الذين انتقلوا الى العهد وراهم امين امين ومن ثم يروي احد الكهنة المرحوم التي اظهرها الله في معجزاته ويعلمون كل رافته باسرائيل ورحمته له اما اللاويون فيقصون كل معاصي بني اسرائيل وحشهم المجرم بالهد والخطايا التي ارتكبوها تحت تأثير «بليال» Belial ويعترف جميع الذين دخلوا العهد وراهم قائلين : لقد كنّا اشراراً ولم نبد بالهد فارتكبنا المعصية والكفر نحن وابائنا من قبل اذ لم عملنا ضد وصايا الله في سلوكنا فتخلى عنا برافته ورحمته »^(١).

ولدينا كتاب صلاة لهذه الفرقة بشكل ثلاثة ملفّات من زبور افعال النعم وبينه وبين كتاب الزبور الثمانية عشرة التي ينسبها الى سليمان بعض وجوه الشبه واذا كان الاصل العبراني او الآرامي لهذه الزبور بات مفقوداً فقد حفظت منه الترجمان اليونانية والسريانية . وان الذكريات وقولب العبارات المستخدمة في التوراة هي وافرة فيه بيد ان اللهجة لمختلفة في الغالب ، وسندلي بحكمنا بشأنه بالاستناد الى الفقرتين او الثلاثة التي اقتطعناها منه :

« احمذك اللهم لانك اوجدتني في جمرة اللآلي

فأحطتني بعنايتك ضد مقريات المتعلق جميعها

فقتل الاقرباء عن نفسي

عندما كنت منضماً الى عهدك

du N.T. (Leyde 30 août, 2 sept. 1950) et publiée dans les *Oudtestamentisch Studien* deel VIII, 1950, p. 156-92. A Dupont-Sommer a donné une traduction des fragments édités dans la *Revue de l'Histoire des Religions*, juil.-sept. 1950, p. 5-11. Nous reproduisons ici une traduction inédite du P.J. Bonsirven.

(1) Les cinq psaumes édités par le Prof. Sukenik ont été traduits en français et brièvement commentés par G. Vermès, dans les *Cahiers Sioniens* de sept. 1950, p. 178-202, nous citons cette traduction.

فهم يكتوتون جماعة من العلم
 ومجتمع بليال Belial
 هم لا يعرفون
 ان سلامتي متأية منك
 وانك ستخلصني برحمتك
 وانك انت الذي ترشد قدمي
 فلما ذاب قلبي كالما
 قد قويتني بعهدك
 « احمذك اللهم لانك انتقذتني من الهاوية
 ولانك اصعدتني من جحيم ابادون Abaddon الى علو دائم الثبات
 فأسير في الطريق المستقيم من دون قلق
 لانني اعرف الرجاء الذي اوجدته لهذا الذي صنعت من خلاص
 في نظر طائفة لن ينال منها الهلاك مئالاً ... »
 وقد اشار واضع هذه الزبور في موضع اخر الى الاضطهادات التي حلت
 بفرقة :

طردت من بلادي كما يطرد الصغور من عشه
 وتحول اهلي واصحابي غني
 واعتبروني مثل آنية محطمة
 لقد ارتبم المعيرن بالكذب واتبياء المكر
 ابنا. بليال Belial خطة
 لتزييف التوراة التي حفرتها في قلبي
 ليزيفوها باقوال خداع وجبهوها الى شعبك
 فسدوا في وجه العماش ينبوع المعرفة
 ليرووا ظلمهم بالحل ...

وتقني صاحب هذه الزبور ايضاً بثقة التوبة التي لا تدعزع :
 « سيقوم البشر امامك الى الابد كما تستهي

ويثبت الذين يسبرون في طريقك مكرمين

اما انا فانك تنادي

وسأنتصب في وجه الساخرين بي ولن اهادن

وسأضع يدي في وجه من يحترقوني

وستظهر في قوتك نوراً وهاجاً

ولن تغطي وجهي بساتر الحجل

وجه اتباعي

المجتمعين في عهدك

ويطلعا على هذه الفرقة نفسها المعلومات القيمة في كتاب تفسير الفداين الاولين للنبي «حبقوق» وهو ملف طوله متر وخمسة وخمسون سنتيمتراً في حوزة الرهبان السريان « ككتاب النظام » فقد اكتفى راضيه بتطبيق كلمات النبي على الحوادث التي شهدا هو بنفسه وانتبه ظهرياً المعنى الحرفي: « ان هذا ينطبق على ... وتفسير هذه هو ان ... »

ولقد بقي في ذهننا ان مؤسس الفرقة التي دعيت باسم « العبد الجديد » هو بعض من اطلق عليه اسم « المعلم العدل » maître de justice المدعو مرتين بلقب « المختار من الله » الذي اطلعه على جميع اسرار عبيده الانبياء . وعلى الاصح ان هذه الفرقة هي التي تحدث عنها المخطوط الذي اكتشف في القاهرة واضطهدا مع اتباعها احد الكهنة الجاحدين وهو رجل كذوب مما ينطبق على ما جاء تماماً في مخطوط القاهرة الذي تحدث عن احد « الابرار » الذي حاول اعداؤه اغتياله .

ولو شئنا التقيد بالنص لرأينا انه لم يرد قط في اي مستند كان من مستنداتنا ان « معلم العدل » هذا قد قضي عليه بالموت او طعن بالحراب او صلب كما لم يرد ما يقول منه « انه شخص الهي متجدد » كما احبوا ان يلقوا في الذهن^(١).

(1) Ainsi A. Dupont-Sommer, dans la *Revue de l'histoire des Religions*,—avril-juin 1950 (Commentaire à Hab II, 7) p. 146, et les *manuscrits de la mer morte*, p. 46. Dans le Document du Caire il est question d'un maître de justice, personnage futur des derniers temps, à côté du Messie d'Aaron et d'Israel, et d'un « docteur unique », personnage du passé, décédé, mais nullement mis à mort. — Voir la mise au point du P. J. Bonsirven dans les *Etudes* de février 1951, p. 213-218: « Révolution dans l'histoire des origines chrétiennes »?

وما نعرفه ايضاً ان الله قد سلم ذلك الكاهن الكافر الى ايدي اعدائه
 « لكيتيم Les Kittime بسبب الآثام التي ارتكبها حيال « معلم العدل »
 maître de justice واتباعه « اولئك الاعداء الذين انتشر رعبهم وارهابهم في
 جميع الامم » كما يحزم المزانف قائلًا : اولئك الاعداء الذين يريد مفسرو
 يرمنا ان يوحدهم مع الرومانيين « مما يستوجب تأخير تاريخ مخطوطاتنا الى ما
 بعد استيلاء بومبيوس على اورشليم سنة ٦٥ قبل المسيح » او مع السلوقيين
 ولا سيما بخاصة مع انطيوخوس وابيقان Epiphane .

والذي لا ريب فيه ان الملف البالغ طوله مترين وتسعين سنتيمتراً وجعل
 الاستاذ سوكنيك Sukenik عنوانه « حرب ابناء النور ضد ابناء الظلام » هو
 وليد تلك البيئة نفسها . اما المتقطعات التي نشرت من الاعمدة الثلاثة فلا تحولنا
 ان نعين بالضبط كيفية « تنظيم تلك المعركة » القريبة التي يذكرنا ما فيها من
 حماسة للقتال ومن تفاصيل كثيرة باسفار المكابيين القانونية Canoniques .

واليكم المثل على كيفية حض الحبر الاعظم لجنده على طريقة يهوذا
 المكابي : « لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا تجحدوا انهم مجتمع كفرة وكل اعمالهم
 تجري في الظلام » .

ومن ثم يشرع بالابتهاال الى يهوه الجيوش « انهض ايا البطل ، واقتد اسراك
 ايا الكائن المجيد خذ غنيمةك . ايا القوي باعمالك ضع يدك على عنق اعدائك
 ورجلك في ارفع ذرى المذمجة ، ازل المصاب بالامم وليزق حاسمك لحم
 المجرم ! افعم الارض بالمجد وميراثك بالبركات وافض الخيرات القوية من فضة
 وذهب واحجار ثينة في ممتلكاتك وقصورك ! وكوني يا صهيون في سدة الفرح
 وابريزي يا اورشليم بيتافات السرور وابتهجي يا جميع مدن يهوذا وافتحي ابوابك
 دائماً لتدخلي اليك ثروات الامم ! ليعدمك الملوك وليخترأمامك الذين اخزوك
 ويلبسوا تراب اقدامك⁽¹⁾ .

واننا نرى ان كل الامور تحمل على الافتراض ان المخطوطات التي كانت
 مودعة في مقبرة عين فشخه Ain Feshkha هي لهذه الفرقة اليهودية نفسها وربما

(1) J'emprunte cette traduction « provisoire » au R. P. Tournay, Revue
 Biblique, 1949, p. 213-214.

شأت ان تخفيها في مأمن قبل هجرتها الى بلاد دمشق وبالأستناد الى هذا يكون مخطوط القاهرة الذي فرض استقرارها بجزر دمشق متأخراً بعض التأخير كما يتفاد ضمناً .

والامر الاكيد ان الاقدمين كان من عادتهم الاحتفاظ بأشئ ذخائرهم في آنية خزفية . أفلم يأمر النبي ارميا تلميذه باروخ بان يأخذ حكي ابتاع حقل عناوت وان يضعها في اناه من خزف ليدوما اياماً كثيرة ؟^(١)

أول ما يكتشف سنة ١٩٠٦ في اثنتان من خزف في ايليفانتين Eléphantine بالقرب من اسوان اوراق بردي رسمية يونانية من القرن الخامس قبل المسيح ؟ ولقد حدثنا اوريجانوس Origène نفسه الذي كان في فلسطين سنة ٢١٧ عن مخطوطات عبرية ويونانية اكتشفت في آنية من خزف بالقرب من اريحا في عهد كاركلا وقال انها كانت له عون في وضع احد اعمدة كتابه الزبور الضخم^(٢) . ومنها يكن من امر فان هذا المخبأ لم يكن بعيداً عن تناول الناس في الزمن القديم لان الاب ده فر de Vaux والسيد هاردنغ Harding قد وجدا فيه حفنة من بقايا الآنية الخزفية الرومانية من القرن الثاني او مطلع القرن الثالث ممزوجة بالخزف الاغريقي ولا يمكن تطيل هذا الامر الاكيد في هذا المكان الثاني ألا بزيارات قام بها لهذه المغارة اشخاص يتقنون القائدة^(٣) .

✽

هنا كنا مخطئين عندما قلنا في بدء حديثنا ان الخط كان سخيّاً بنثر ابنساعاته على الباحثين عن الكنوز العائدة الى الكتاب المقدس ؟ والظاهر ان الادلة لا تشير الى انه سيضع حداً لقضائه هذه ..
واسمحوا لي وان خرجت عن امر المخطوطات العائدة الى الكتاب المقدس مباشرة بان المع لكم بكلمة واحدة الى كتبت جديدتين جعلتها ارض مصر

(1) Jérémie p. 32,14.

(2) Les renseignements se trouvent dans un bon nombre de manuscrits ; le passage a été étudié par le Cardinal G. Mercati dans *Studia Testi*, vol. 5 (1901) p. 29 = *Note di letteratura biblica cristiana antica*.

(3) *Revue biblique*, 1949, p. 236.

الفنية بالاثار في متناول من وادهم حظ الاكتشاف وفي متناول العلماء بدراساتهم المستمرة وثيقة .

لقد كشفت فزوس العمال في شهر آب سنة ١٩٤١ على بعد عشر كيلومترات من القاهرة عندما كانوا يحفرون في مقالع تورا Toura لايداع كميات الذخائر رزمة من اوراق البردي قدروا حجمها بتر مكعب !

ومن هذه الاوراق صدر نص اوريجانوس Origène القيم الذي طبعه م.ج. شرر M.J. Scherer الاستاذ في جامعة فزاد الاول طبياً متقناً وقد كتبه بالاختزال جماعة من الاساقفة سألوا ملير ال Didascale في الاسكندرية « عن الاب والابن والروح » .

وتمت اوراق اخرى تشمل على تفاسير القديس للتوراة وهو الذي خلف اوريجانوس على رأس مدرسة الاسكندرية في القرن الرابع ومن جملة تلاميذه فيها القديس ايرينيوس Jérôme وروفان Ruffin اللذين لم نطلع على تفسيرهما حتى الآن إلا عن طريق بعض الشذرات المعنونة dans les chaînes بيد ان الباقي منها الذي ما برح قيد التنقيب عنه سيكون مدعاة لمفاجأة جديدة .

ومن عهد قريب جد القرب عثر بحراث احد الفلاحين في ناج حمادي Nag. Hamadi بصر العليا على بعد ٥٠ كيلومتراً من القصور Louxor بانية خزفية ضنبا « اعظم مجموعة من الكتابات على ورق البردي » حتى سميت بأهم مجموعة لانهم لم يروا قط مثلاً سواه اكان ذلك من حيث العدد ام القدم ام من حيث الاحتفاظ بكبرها^(١) وينبغي ان نضيف اليها بالاستناد الى ما اوضحته هذه النصوص اثنين واربعين كتاباً لهؤلاء الكتبة الذين مثلوا دوراً كبيراً في اثناء قرون الكنيسة الاولى وكانت لهم معرفة كاملة وسامية وحاربهم بقوة ايرينه Irénec واوريجانوس وحيبوليت Hippolyte واييفان Epiphane وذلك ما عدا الوثنيين كلس Celse او بلوتان Plotin وكتبوا بهارة

(١) Voir les deux articles de Jean Doresse et Togo Mina, parus dans *Vigilias Christianae*, juillet 1948, p. 129-160 et juillet 1949, p. 129-141 et, sur les circonstances de la découverte l'article, d'Octave Guérard, dans la *Revue de l'histoire des religions*, janv.-juin 1946, p. 85-108.

تعاليمهم حتى اوشكت مستنداتنا الآن ان تقتصر على كتابات خصومهم الذين لم يستطيعوا هم ايضاً الحصول على مؤلفاتهم .
هذا هو الكتز الذي اكتشف في تاج حمادي Nag. Hamadi الذي يفتح
فجأة ابواب مكتبة المعارف على مصراعها حيث نرى اقدم كتب هذه
الفرقة المقدسة .
اجل ان الحظ لييم دائماً لعلماء القرن العشرين .